

تفسير الشعالي

وقوله فاتقوا إِنَّمَا أَسْتَطَعْتُمْ قَالَ الْعَرَقِيُّ وَسَعَهَا أَيْ طَاقَتْهَا إِنْ قَالَ عَوْنَاطَفَ النَّاسَ فِي جَوَازِ تَكْلِيفِ مَا لَا يَطْاَقُ فِي الْأَحْكَامِ الَّتِي هِيَ فِي الدِّينِ بَعْدِ اتْفَاقِهِمْ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ وَاقِعاً إِلَّا فِي الشَّرْعِ وَأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ آذَنَتْ بِعَدْمِهِ وَاخْتَلَفَ الْقَائِلُونَ بِجَوَازِهِ هُلْ وَقَعَ فِي رِسَالَةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْ لَا فَقَالَتْ فِرْقَةٌ وَقَعَ فِي نَازِلَةِ أَبِي لَهَبٍ لِأَنَّهُ حُكْمٌ عَلَيْهِ بِتِبْيَانِ الْيَدِيْنِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَؤْذِنٌ أَنَّهُ لَا يَؤْمِنُ وَتَكْلِيفُ الشَّرْعِ لِهِ الإِيمَانِ رَاتِبٌ فَكَانَهُ كَلْفٌ أَنْ يَؤْمِنَ وَأَنْ يَكُونَ فِي إِيمَانِهِ أَنَّهُ لَا يَؤْمِنُ لِأَنَّهُ إِذَا آمَنَ فَلَا مَحَالَةَ أَنْ يَدِينَ بِسُورَةِ تَبَتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَقَالَتْ فِرْقَةٌ لَمْ يَقُعْ قَطُّ وَقَوْلُهُ تَعَالَى سَيِّدُنَا نَارًا إِنَّمَا مَعْنَاهُ إِنْ وَافَ عَلَى كَفَرِهِ عَوْنَاطَفَ عَلَى أَقْسَامِهِ الْمُحَالِّ عَقْلًا كَالْجَمْعِ بَيْنَ الْمُضِيْنِ وَمِنْهُ الْمُحَالِّ عَادَةً كَرْفَعَ إِنْسَانٌ جَبَلاً وَمِنْهُ مَا لَا يَطْاَقُ مِنْ حَيْثُ هُوَ مَهْلِكٌ كَالْاحْتِرَاقِ بِالنَّارِ وَنَحْوُهُ وَمِنْهُ مَا لَا يَطْاَقُ لِلَاشْتِغَالِ بِغَيْرِهِ وَهَذَا إِنَّمَا يَقُولُ فِيهِ مَا لَا يَطْاَقُ عَلَى تَجْوِيزِ كَثِيرٍ وَقَوْلُهُ تَعَالَى لَهَا مَا كَسَبَتْ يَرِيدُ مِنَ الْحَسَنَاتِ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ يَرِيدُ مِنَ السَّيَّاْتِ قَالَهُ جَمَاعَةُ الْمُفَسِّرِينَ لَا خَلَافٌ فِي ذَلِكَ وَالْخَوَاطِرِ وَنَحْوُهَا لَيْسَ مِنْ كَسْبِ إِنْسَانٍ وَجَاءَتِ الْعِبَارَةُ فِي الْحَسَنَاتِ بِلَهَا مِنْ حَيْثُ هِيَ مَا يُفْرِحُ إِنْسَانَ بِكَسْبِهِ وَيُسْرُ الْمَرْءِ بِهَا فَتَضَافَ إِلَى مَلْكِهِ وَجَاءَتِ فِي السَّيَّئَةِ بِعَلَيْهَا مِنْ حَيْثُ هِيَ أَوْزَارٌ وَأَثْقَالٌ وَمَتْحَمَلَاتٌ صَعِيبَةٌ وَهَذَا كَمَا تَقُولُ لِي مَالٌ وَعَلِيٌّ دِينٌ وَكَرِرَ فَعْلُ الْكَسْبِ فَخَالَفَ بَيْنَ التَّصْرِيفَيْنِ حَسَنًا لِنَمْطِ الْكَلَامِ كَمَا قَالَ فَمَهْلِكُ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ رُوِيَّدًا هَذَا وَجْهٌ وَالَّذِي يَظْهُرُ لِي فِي هَذَا أَنَّ الْحَسَنَاتِ مَا يَكْسِبُ دُونَ تَكْلِفٍ إِذْ كَاسِبَهَا عَلَى جَادَةِ أَمْرٍ إِنَّمَا وَرَسَمَ شَرْعَهُ وَالسَّيَّئَاتِ تَكْتَسِبُ بِبَنَاءِ الْمُبَالَغَةِ إِذْ كَاسِبَهَا يَتَكَلَّفُ فِي أَمْرِهَا خَرْقَ حِجَابِ نَهِيِّ إِنَّمَا وَيَتَخَطَّاهُ إِلَيْهَا فَيَحْسُنُ فِي الْآيَةِ مُجَيِّءُ التَّصْرِيفَيْنِ لِهَذَا